

يقدر ما هو الماتي « (١٧) (ص ١٧٦) . لقد سقط مزارحي فيما كان يعيب على ماركس السقوط فيه : اعتبار الجماعة وحدة ذات جوهر منفصل عن المكان والزمان ، وذات صفات دائمة غير متأثرة ولا منفصلة بالواقع . مزارحي اذ يعزل اللاسامية عن الصراعات الطبقة في الماتيه وعن سياسات الطبقات الالمانية الرجعية ، ويعتبرها شائنا « الماتيا » في المصميم ، غير مرتبط بظرف موضوعي يمكن النضال ضده وتغييره ، يقع شاء أم أبى في فخ الفلسفة المثالية التي انتجت ، فيما انتجت ، فهمها لليهود كجماعة منعزلة ذات ماهية لا تتغير ولا تتبدل . هذه الافكار شكلت المقدمات النظرية لكل من الصهيونية والنازية .

ونظرا الى ان ماركس كان يعيش في فرنسا اثناء كتابة « المسألة اليهودية » فان مزارحي ينتقل ، لدراسة الاطار النظري الذي عايشه ماركس ، الى تبيان لاسامية الكتاب الاشتراكيين الفرنسيين . فيبدأ بالاشتراكي الطوباوي فوريه Fourier فيعرض نظريته العابة ويظنهم لاساميته . ليس المهم ان يكون فوريه ساميا أو لا (المرجح انه كان لاساميا) المهم هو المنهج التحليلي الذي يتبعه مزارحي للكشف عن اسباب لاسامية فوريه . فعلى عكس كافة الدراسات المادية الجدلية ، التي تستقرىء العسامل الاقتصادي ، كعامل محدد في التحليل النهائي ، يذهب مزارحي من الاقتصاد الى عوامل أكثر جذرية حسب رأيه : الى الديانة المسيحية « ليست الاشتراكية الطوباوية لاسامية لانها اشتراكية او لانها طوباوية ، بل لانها دينية ولانها مسيحية » (ص ١٨٤) . وهكذا يحل مزارحي التناقض في الانكار والمعتقدات محل التناقض في الواقع الاجتماعي المعاش ، ويروح يحلل أفكار فوريه اللاهوتية معتبرا اياها مصدر لاساميته . كل هذا يقترف باسم الاشتراكية !! وعلى المنوال نفسه يناقش مزارحي توسونل Tousseneل ، تلميذ فوريه . . . بالنسبة لتوسونل تبدو محاولات مزارحي « مسلية » جدا . فهو لم يستطع ان يقدم ، حتى في التصوص التي اختارها بنفسه ، أي دليل على كره توسونل لليهود كيهود . فهذا الآخر يساوي بينهم وبين البريطانيين ، والفينيقيين ، والقرطاجيين ، والهولنديين ، وسكان جنيف . ويمتبرهم جميما تجسارا غير جديرين بالاحترام .

على اليهود مرددا جملة الاتهامات التي اصبحت تقليدية : فهم اشرار ، متبذون ، مشوهون ، حاقدون ، مخادعون بطبيعتهم . ومع كل هذا مزارحي يعتبر ان موقف هيغل هو لاسامي بشكل جذري انما اقل لاسامية من موقف ماركس (ص ١٦٥) .

ان الطابع العام ، للاستعراض الذي يقوم به مزارحي ، لمواقف الفلاسفة الكلاسيكيين الالمان من المسألة اليهودية ، هو تغيب التحليل الطبقي . اذ اننا نحاول عبثا ان نعثر على كلبة حول علاقة هذه الاطروحات اللاسامية بالصراعات الطبقة الدائرة في الماتيه . وكان هذه المذاهب الفلسفية نشأت في الخلاء كتعبير عن موقف « طبيعي » لدى الانسان يدفعه لكراهية اليهودي ، لا كتعبير عن بورجوازية الماتية ناشئة ، بالتحصاف مع الانتفاع والملك المقاريين ، تسعى لحرف وجهة الصراع الطبقي وتسليطه على عدو ظاهر تختبئ وراءه مستفيدة من حقد جماهير البورجوازية الصغيرة عليه .

ويضي مزارحي في استعراض آراء المفكرين والادباء الالمان في المسألة اليهودية ، بهدف الاطاحة بالاطار النقابي لكتاب « المسألة اليهودية » . فيعرض آراء ارندت Arndt (١٧٦٨ — ١٨٦٠) وهو اشهر من ان يعرف فقد كان الشاعر المفضل لدى النازيين . ويعرض آراء شتال (١٨٠٢ — ١٨٦٢) — يهودي نصر — وهو فيلسوف يميني رجعي ، كان المستشار الروحي لفرديريك غليوم الرابع ، بشر بنظام ملكي ديني مسيحي لا مكان لليهود فيه .

وبالطبع ، يعجز مزارحي عن ايجاد أي غارق بين المواقف العنصرية الرجعية لهكذا مفكرين وبين مواقف ماركس ، فيقول حرفيا : « ان ماركس انتهى ، وبصورة غريبة ، الى النتائج عينها التي توصل اليها شتال . . . » (ص ١٧٤) (انها فعلا غريبة هذه الصورة !!) اما السبب في انتشار هذه اللاسامية في صفوف الالمان فيعيدده مزارحي الى عمق نفوذ الايدولوجية اللوثرية ، هذا النفوذ الذي يفعل في نفوس الالمان بغض النظر عن انتمائهم الطبقي !! (ص ١٧٥) . واستنادا الى ما تقدم والى ان الانسان كتردد لا بد متأثر بايدولوجية الجماعة التي ينتهي اليها ، ينتهي مزارحي الى الاعلان : « علينا ان نؤكد ان ماركس هو لا سامي